الجغرافية التاريخية لبلاد الزّاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع

علي الهطاي،
كلية الآداب والفنون والانسانيات
منوبة، تونس.

تعدّ الجغرافية التاريخية إلى جانب علوم أخرى مثل علوم التضاريس والمياه والخرائط، بالإضافة إلى المعجمية مثل الموقعية والمصطلحات الأثرية أحد المناهج العلمية في دراسة علم التاريخ. وقد ازداد الاعتناء بهذا المبحث خاصة بعد أن نبّهت إلى أهميته مدرسة الحوليات الفرنسية (حسن، م، 2004: 7) وتكمن أهمية هذا العلم في تحديد التوزع الجغرافي للقرى والمدن وضبط المسالك والطرقات مما يساعدنا على استقراء الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمعات. وفي هذا الصدد حاولنا دراسة مجال بلاد الزاب خلال الفترة الوسيطة وأهم مدنه وقراه التي كان لها دور محوري في سير الأحداث. فقد كان لإقليم الزّاب عبر العصور التاريخية دور محوري في التأثير على أحداث بلاد المغرب الإسلامي فهو يحتل وسط بلاد المغرب بما يجعله قادرا على الإطلال على كلّ البلاد، وهو ما انعكس على دوره التاريخي بأن كان لمجاله دور في إفراز الممالك، وكانت ربوعه مسرحا للكثير من الأحداث السيّاسيّة والاقتصاديّة، كما شهدت مدنه وقائع حاسمة ومحطات بارزة في سياق هذا التاريخ، ويكفي أنّه كان منطلقا للكثير من الدّول التي تعاقبت على حكم إفريقية خلال الفترة الوسيطة على غرار الدولة الأغلبية والفاطمية والزيرية والحمادية، كما أنه مثّل على مرّ التاريخ مركزا للتمرّد والثورات والحركات المناوئة للسلطة المركزية، كما أن الزاب مكتسب لقاعدة اقتصادية متينة بفضل ضمّه لمنطقة الواحات وبتمثيله بوابّة للصحراء في التجارة نحو بلاد السودان. كما أن تباين تضاريسه ومناخه من الشمال إلى الجنوب قد انعكس على ثرائه الاقتصادي، كل هذه المعطيات أعطته أهمية جوهرية خلال مختلف الفترات التاريخية.

ومن الإشكاليات الأساسية لهذا البحث تحديد المصطلح الجغرافي لمنطقة "الزّاب" ذلك أنّه ثمّة خلافات حادّة بين الرحالة والجغرافيين في رسم حدوده، حتى أنّه ليس من اليسير وضع خريطة دقيقة لبلاد الزّاب.

1- الزّاب في النصوص الجغرافية العربية

نشأت "الجغرافية التاريخية" العربية لأسباب إدارية متعلقة بمساعدة ديوان الخراج في القيام بالجباية، ثم تطورت لتتخذ طابعاً أدبيا وعلميا في العصور اللاحقة وتهتم بدراسة الأقاليم والمدن، لذلك حظيت كتب المسالك والممالك بأهمية كبيرة في دراستنا من حيث ثراء المادّة التي قدّمتها لا سيما تلك التي زار مؤلّفوها بلاد المغرب، فجاءت كتاباتهم شهادات حية عن رحلاتهم خاصّة أولئك الذين عبروا بلاد الزّاب ووقفوا بمدنها.(عمارة، علاوة.2004."الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، 22، ص 332).

وقد تطرقت أغلب المصادر إلى ذكر جوانب عديدة من بلاد الزّاب وخاصة النّاحية الجغرافية منها وذلك نتاجا لرحلاتهم ومشاهداتهم للمنطقة وفي بعض الأحيان اقتباسا عن المصادر السابقة، ولضمان دراسة ممحّصة حول المنطقة المدروسة "منطقة الزّاب" قمنا بجمع أغلب النصوص الجغرافية ولعلّ أهمّها نصوص اليعقوبي وابن حوقل والمقدسي والبكري والإدريسي والحموي، ومن المتأخرين نسبيّا: ابن خلدون وابن عبد المنعم الحميري، الوزان الفاسي، في محاولة لضبط مجال الزاب خلال الفترة الوسيطة.

ومن الإشكاليات الأساسية لهذا البحث تحديد المصطلح الجغرافي، إذ توجد خلافات حادّة بين الرحالة والجغرافيين في تحديد مجالات بلاد الزّاب حتى أنّه لمن الصعب أن يتم وضع خريطة دقيقة لبلاد الزّاب وذلك راجع إلى التباين والاختلاف بين الجغرافيين حول المدن التي تدخل في نطاق بلاد الزّاب وكذلك تعود تلك الصعوبة إلى حركيّة حدود مجال الزاب الذي يتقلّص ويتّسع حسب قوة الدولة.

ولمعالجة هذه الإشكالية سيتم الاعتماد على منهج التحليل والمقارنة بين مختلف المصادر الجغرافيية لتحديد دلالات المصطلح وضبط مجاله.

استعمل مصطلح الزاب بالمشرق للدلالة على زاب الموصل بالعراق وهو عبارة عن واديين من أودية بلاد الرافدين، أحدهما الزاب الأصغر بين الموصل وإربل والثاني الزاب الأكبر بين إربل وكركوك وكلاهما من

روافد نهر دجلة(الحموي،ي، 1990 : 137). وقد برزت هذه التسمية في بلاد المغرب في القرن الثاني الهجري في إطار التنظيم الإداري لولاية إفريقية.

ويشير الحموي أن لفظ الزّاب يطلق على مدينة بالمغرب فيورد:" اسْمُ مَدِينَةٍ بِالغَرْبِ مِنْ أَعْمَالِ الزّاب، يُقَال إِن حَوْلَهَا ثَلَاث مائَة وَسِتِّينَ قَرْيَة"(الحموي،ي، 1990 : 140).ثم بيّنت الدراسات الحديثة أن اسم الزّاب مشتق اسمه من مدينة زابي جستيانا(Zabi) البيزنطية (Hassen,M,2015:256) التي كانت تقع بالقرب من مركز مدينة المسيلة الحالية. وقد كانت هذه المنطقة تاريخيا تمثل نوميديا وتتبع للحكم الروماني حيث كانت مركزا للفرقة الرومانية الثالثة، وتتميز بكثرة حصونها، ومن أهم مدنها سطيف Sitifis وتيمقاد Thamugadi وباغايBagai وبسكرة Vescera. وقد تغير إسم المنطقة من نوميديا إلى اسم بلاد الزاب، وقد كانت تاريخيّا تمثّل منطقة إستراتيجية لامتدادها على منطقة الواحات الواقعة جنوب الأوراس وبالتالي مثّلت حلقة وصل بين منطقة التلّ بالشمال والصحراء الكبرى بالجنوب,(Cote,M,2005:395) .

أما في ما يتعلق بالجانب الجغرافي فالضرورة تقتضي جمع أغلب النصوص الجغرافية التاريخية قصد محاولة رسم صورة واضحة الحدود والمكونات لبلاد الزّاب، ذلك أن إشكالية تمدّد المساحة وتقلّصها تبرز بشكل جليّ بين الجغرافيين كلّ حسب الفترة التي عايشها. فيشير ابن خرداذبه (ت 280هـ/894م) في إطار ذكره للطريق الرابط من برقة إلى المغرب أنّ اسم الزّاب يطلق على إحدى مدن بلاد المغرب دون تحديد أو تعيين ولا نعلم إن كان المقصود مدينة معيّنة كطبنة أو المسيلة مثلا أو أن المصطلح شامل لكامل بلاد الزّاب (ابن خرداذبة،ع، 1889 : 87) ، أمّا اليعقوبي (ت. 292هـ/905م) فينسب جملة من المدن إلى بلاد الزّاب فيذكر باغاية، تيجس، بلزمة، نقاوس، سطيف، مقرة، أربة وطبنة (اليعقوبي،أ ، 2001 : 190) وبالتالي يجعل من الزاب بلدا واسعا دون أن يبيّن حدود الاقليم بدقة رغم أنه ذكر إلا حدوده الغربية بقوله:" مدينة أربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ولم يجاوزها المسودة "(اليعقوبي،أ ، 2001 : 190) ، وكذلك الشأن بالنسبة إلى المقدسي (ت381ه/991م) الذي يذكر بعض المدن التابعة لإقليم الزّاب ومنها

المسيلة، مقرة، طبنة، بسكرة، بادس، تهودة، طولقة، أذنة وأشير (المقدسي، م، 1990: 57).

أما خلال عصر الوسيط المتأخر، فإننا نرى تغيّرا واضحا في الخريطة الجغرافية لمنطقة الزاب ذلك أنه بالعودة إلى بعض مؤلفات الجغرافيين المتأخرين يظهر لنا توسع مفهوم هذا المجال، فيذكر ياقوت الحموي (ت626ه/1229م) أن بلاد الزّاب الكبير تضم بسكرة توزر قفصة نفزاوة بادس (الحموي، ي، 1990: 139) وكذلك يذكر صاحب الرّوض المعطار في خبر الأقطار (ت 900هـ/1495م) الأمر عينه فمنطقة الزّاب عنده تقع على أطراف الصحراء من بلاد الجريد وبها أنهار وعيون ومدن كثيرة من أهمّها المسيلة، نقاوس، طبنة، بسكرة وتهودة وغيرها(الحميري، م، 1980: 281). كما يذكر ابن خلدون (ت808هـ/1406م) منطقة الزّاب بأنها منطقة شاسعة تمتدّ من منطقة الدّوسن بالغرب إلى منطقة بادس وتتومة شرقا وهو يضمّ العديد من المدن والقرى المحاذية لبعضها البعض ولعلّ أهمّها : زاب الدوسن، زاب طولقة، زاب مليلة، زاب بسكرة، زاب تهودة، زاب بادس. ويعتبر أن بسكرة كانت أعظم مدينة خلال هذه الفترة (ابن خلدون، ع، 1988: 585).

بالإضافة إلى ذلك يحدّد الوزّان الفاسي (ت 957ه/1550م) جغرافيّة إقليم الزّاب من تخوم المسيلة غربا إلى بلاد الجريد بتونس شرقا، ومن جبال مملكة بجاية شمالا إلى الطريق المؤدّية من تقرت إلى ورقلة جنوبا. ويعتبرها منطقة واحات. وقد شمل إقليم الزّاب حسب الوزان الفاسي خمس مدن كبرى وعددا كثيرا من القرى ولعلّ أهم هذه المدن بسكرة ، طولقة والدوسن (الفاسي، و، 1983: 141).

وتتدعّم هذه الرؤية عندما يذكر ابن عذاري (ت. بعد 712هـ/1312م) في مؤلفه "البيان المغرب" وفي حديثه عن تولية إبراهيم ابن الأغلب بلاد الزّاب ومساندته والي إفريقية ابن العكّي أن بلاد الزّاب غير منفصلة عن بلاد الجريد بل هي امتداد لها ولعلّها كانت منطقة واحدة "وكان الرشيد ولاّه بلاد الزّاب وهي بلاد الجريد" (ابن عذاري، ع، 1983: 92). وهو ما يعني الجمع بين مدن الزّاب ومدن الجريد في إطار مجال الزّاب الكبير. وقد كانت بلاد الجريد تعدّ تاريخيّا ضمن إقليم الزّاب الكبير إلا أنّ هذا الرأي غير مجتمع عليه عند المؤرخين والجغرافيين.

فيرى بعض الجغرافيين وعلى رأسهم ابن حوقل صاحب صورة الأرض وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان أنّ بلاد الجريد تابعة لإقليم الزّاب "في بلاد الجريد من أرض الزّاب الكبير قسطيلية"(الحموي، ي، 1990: 384) ، وكذلك صاحب الرّوض المعطار الذي يعتبرها جغرافيا ضمن الزّاب وكانت تتبع عمل إفريقية (الحميري، م، 1980: 281). ومن هذا المنطلق تتدعم فكرة أنّ بلاد الجريد كانت تتبع منطقة الزّاب في بعض الفترات التاريخية. كما أوضحت بعض كتب الطبقات في طيّاتها أن بلاد الزّاب كانت تضمّ مدن بلاد الجريد فيذكر صاحب كتاب معجم السفر(ت. 576ه/1180م) خلال ذكره لرجالات الحديث منهم ابن العنان الأندلسي الذي أورد أنّ:" الزّاب الكبير منه بسكرة وتوزر وقصطيلية وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس" (السلفي، أ ،د.ت: 360).

في حين يرى قسم أخر من الجغرافيين والمؤرخين وعلى رأسهم عبد الواحد المراكشي (ت.647هـ/1249م) في أتون حديثه عن اتّساع مملكة الموحدين في عهد عبد المؤمن فيذكر:" وأرسل إلى بلاد الجريد وهي توزر قفصة ونفطة والحامة" (المراكشي، ع، 2006: 66) ومن هذا المنطلق نرى أن المراكشي يضع بلاد الجريد خارج الإطار الجغرافي لمنطقة الزّاب وتتدعّم هذه الوجهة عند ذكره جغرافية إفريقية إذ يقول :" ومن مدينة قفصة إلى مدينة توزر أربع مراحل وتوزر هذه هي حاضرة بلاد الجريد وأم قراها وبلاد الجريد التي يقع عليها هذا الاسم تنقسم قسمين قسم يسمى قسطيلية وهذا الاسم يقع على توزر وأعمالها وقسم يسمى الزّاب وهذا الاسم يقع على مدينة بسكرة وأعمالها"(المراكشي، ع، 2006: 104) فيتجلّى لنا أن بلاد الجريد كانت خارج نطاق الزّاب ويوافقه في ذلك الوزان الفاسي الذي يحدّد بلاد الجريد خارج الزّاب فيبدأ هذا الإقليم من حدود بسكرة الشرقية إلى حدود جزيرة جربة. كما يؤكد فرضية أن بلاد الجريد خارج منطقة الزاب ما أورده بعض المعاصرين في تحديد المجال الجغرافي لمنطقة الزاب والتي كانت تمتدّ من تبسة شرقا إلى المسيلة غربا ، ويحدها من الشّمال سلسلة الأوراس وتمتدّ إلى واحات جنوب بسكرة الواقعة على طريق واد أريغ(Amara,A,2012: 119).

خلاصة القول أن بلاد الجريد تقع خارج نطاق الزّاب إذا كان المقصود بذلك منطقة بسكرة وقراها وهي تقع داخل نطاق الزّاب إذا

تحدثنا عن الزّاب الكبير لكن الأمر الواضح أنّ بلاد الجريد كانت تضم العديد من المدن الهامة وعلى رأسها توزر عاصمة إقليم الجريد أو قسطيلية وقفصة ونفزاوة ونفطة والحامة(اليعقوبي،أ، 2001: 46) وكانت تتّسم هذه المنطقة بشدة حرارتها وكثرة جفافها. ولم تكن أرضا خصبة للحبوب في المقابل كانت أرضا خصبة للواحات بحسب ما ذكرها التجاني (ت.721هـ/1321م) في رحلته خلال العهد الحفصي (التجاني،ع، 2005).

وفي ضوء ما قدّمه الجغرافيون نتبيّن أنّ صورة بلاد الزّاب تتغيّر من مصدر إلى آخر حسب الفترة التي عايشها خاصة في ما يتعلق ببلاد الجريد فبعضهم يضمّها إلى الزّاب الكبير والبعض الأخر يسمّيها بالزّاب الأعلى وتبقى حدود بلاد الزّاب مفتوحة وذلك راجع إلى الأسباب السياسية بحسب ضعف وقوة الدولة على المنطقة، فالمجال الجغرافي يضيق ويتّسع حسب الفترة التاريخية وحسب قوة الدولة، لكن الأمر الراجح أنّ اقليم الزّاب كان في معظم الفترات التاريخية تابعا لمجال إفريقية السياسي.

ويبدو أن التقسيم الرّاجح لدى المعاصرين يرى أن بلاد الجريد خارج نطاق منطقة الزّاب، بل هو إقليم قائم بذاته وعاصمته قسطيلية وتبعا لذلك تتحدّد الحدود الشرقية لمنطقة الزّاب على تخوم بلاد الجريد.

كما ظهر اختلاف آخر بين المؤرخين في تحديد جغرافية تقسيم منطقة الزاب(المقصود بمنطقة الزاب هنا هي المنطقة الواقعة بين بادس شرقا وطولقة غربا) خلال الفترة الوسيطة وحسب الظرفية التاريخية التي لها تأثير في رسم ملامح المجال الجغرافي، فقد قسّمت منطقة الزاب في البداية إلى قسمين وهما الزاب الأعلى ويضم منطقة الحضنة والزاب الأدنى ويضم بسكرة والمدن المجاورة لها(Amara,A,2012: 119). أما خلال عصر ابن خلدون فقد حدّد مجال الزاب إلى ثلاث مناطق وهي: الزاب الغربي ويقع حول طولقة، ثم الزاب الأوسط ويشمل مدينة بسكرة وأخيرا الزاب الشرقي الذي يضم مدينة بادس والقرى المحيطة به(ابن خلدون،ع، 1988، ج6: 588) وهو ما يفسر اعتماد المؤرخين للفظ "الزيبان" أحيانا عوضا عن لفظ "الزاب". وحسب موقع بسكرة عاصمة الزّاب التي تتوسط المنطقة المدروسة، يمكننا تقسيم الزّاب إلى منطقتين: منطقة الزّاب الغربي ومنطقة الزّاب الشرقي.

خريطة بلاد الزّاب

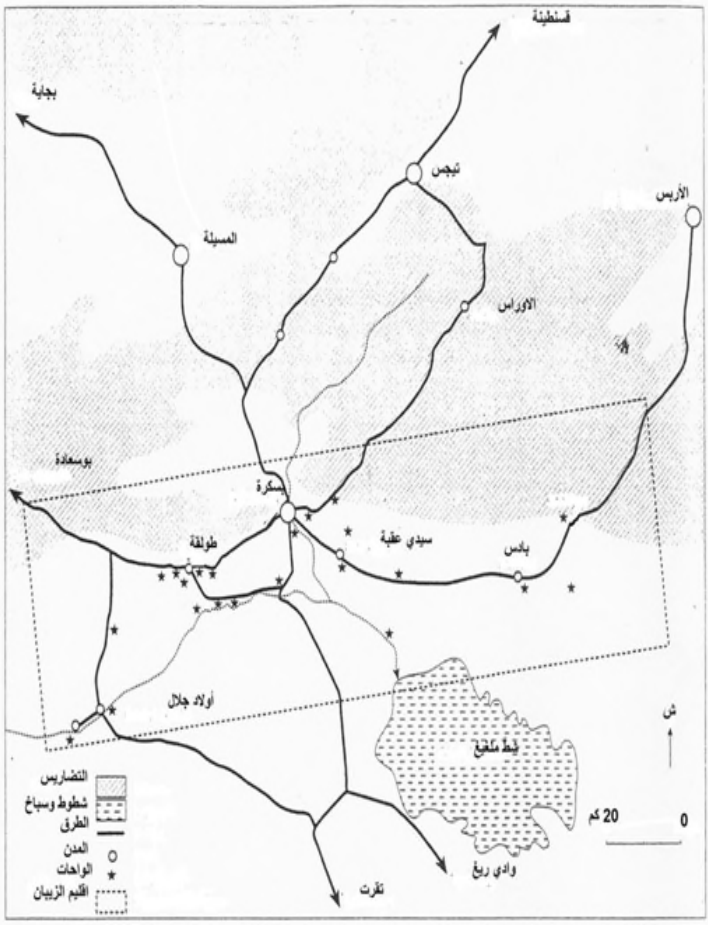

Source: Cote(M.), « ZàB », Encyclopédie de l islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.Tome6.p395-397.

2- منطقة الزّاب الغربي:

يعتبر الجغرافيون أنّ منطقة الزّاب الغربي تمتدّ جهة الحضنة وكذلك جنوب منطقة الأوراس في اتجاه واحات منطقة بسكرة وهو التقسيم نفسه الذي ذهب إليه بعض المتأخرين(على غرار روبار برانشفيك والهادي روجي إدريس وفرحات الدشراوي) الذين أكّدوا أن اقليم الزّاب يطلق على المنطقة الممتدة على جنوب الأوراس حول بسكرة وهي منطقة الزيبان اليوم، وقد كان يطلق اسم بلاد الزاب في القرون الهجرية الأولى إلى القرن الثامن للهجرة إطلاقا واسعا ليشمل سهول الحضنة (Cambuzat,P,1986,337) ومدنها الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية وتضمّ هذه المنطقة العديد من المدن منها: زابي والمسيلة ونقاوس ومقرة وطبنة وطولقة.

- زابي :تؤكد الدراسات التاريخية الحديثة أن "زابي" قد أصبح اسمها خلال الفترة العربية "أزبة" (Cambuzat,P,1986,338)، وقد أخذت اسمها من الموقع الأثري لمدينة زابي جستيانيانا البيزنطية، وتسمى حاليا بمدينة بشليقة وكان تقع بالجزء الغربي من بلاد الحضنة وتبعد حوالي 4 كم جنوب شرق المسيلة، (Cambuzat,P,1986,18) ، ولعل أهم ما يميّز هذه المنطقة هو امتدادها الشاسع الذي تقدّر مساحته بين 30 و90 هكتار (سليماني،س، 2005: 45). وقد تواصل أهمية المدينة خلال الفترة البيزنطية حيث مثلت أحد المدن الدفاعية (Cambuzat,P,1986,113). كما تكمن أهمية مدينة "زابي" بأن شكلت أحد المعابر الهامة لمنطقة الحضنة والزاب نحو الشمال، أما اقتصاديا فإنه بفضل تعدّد عيونها مثل "عين القطن"و"عين الغزل" (Cambuzat,P,1986,24) ازدهرت بها الزراعة مما شجع السكان على التوطين بها.

- طبنة : تعتبر من مدن إقليم الزّاب الواسع الامتداد و يصفها الجغرافيون بأنها مدينة الزّاب العظمى وهي تقع في نفس المحور شرق مدينة المسيلة وشمال شطّ الحضنة، وتوجد على بعد حوالي 4 كم جنوب شرق مدينة بريكة حاليا وتحديدا بين وادي بريكة ووادي بيطام، وتعدّ طبنة من أقدم المدن النوميدية (Camps,G,1985: 194) ، وقد وردت في المصادر البيزنطية بصيغ مختلفة منها Tobonis,Tubunas,Tubuniensis ، وقد

كـــان لهـــا دور في السياســـة الدفاعيـــة لافريقيـــا البيزنطيـــة (Lakhder,M,2015:279). تـتميز بأراضـيها الشاسـعة وتشـقها العديـد مـن الأودية. تكمن أهميتها في مراقبتها للطرق المتوجهة نحو الغرب فهي نقطة عبور المسالك القادمة من باغاية ونقاوس أو المتجهة نحو الشمال مثل سطيف.

وصـفها البكـري بالمدينـة العظيمـة حيـث إنّهـا تضـاهي القـيروان وسجلماسـة بـبلاد المغـرب (البكـري، ع، 1992: 712). وقـد اتفقـت جـل المصـادر أن طبنـة كانـت مقـرا للـولاة وقصـبة لحكمهم بدايـة مـن أواسـط القرن الثاني ه/ VIIIم (البـوزادي، ب، 2005: 29) ، ويبـدو أن هـذا الاختيـار جاء عن دراية بما يمكـن أن توفره هـذه المدينـة مـن إمكانيـات عسـكرية هامة للتحصّن والقضاء على حركات الخوارج بالزاب.

وقد استغلّ الولاة الحامية البيزنطية التي استخدمت من جديد للدفاع عـن الـبلاد وهـو الـدور الـذي اضـطلعت بـه طيلـة الفـترات السـابقة للفـتح الاسـلامي (البـوزادي، ب، 2005: 30). وقـد اتخـذت عاصـمة لـبلاد الـزاب خـلال فـترة الـولاة. وقـد زارهـا اليعقـوبي بعـد سـنة 263ه/877م فيصـفها "بالمدينة العظمى وهي في وسط الزاب وبها ينزل الولاة" (اليعقوبي، أ ، 2001: 190) ، كمـا عـدّها البكـري مدينـة كـبيرة مقارنـة بمـدن المغـرب الأخـرى ويتجلى ذلـك مـن خـلال "سـورها مبنيّ بـالطوب وبهـا قصـر وأربـاض، وداخـل القصـر جـامع وصـهريج كـبير يقـع فيـه نهرهـا ومنـه تسـقى بسـاتينها... قصـر طبنـة قـديم أوّلـي كـبير جليـل مبني بالصـخر الضـخم ..ينزلـه العمّـال، وهـو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد" (البكـري، ع، 1992: 711) ، كمـا اعتبرهـا صـاحب كتـاب المغـرب في حلـى المغـرب (ت.685هـ/1286م) قاعدة بلاد الـزّاب (الأندلسـي، ع، 1955: 92). وكـان يسـكنها أخـلاط مـن قـريش والعـرب والجنـد والعجـم والأفارقـة والـروم والبربـر(اليعقـوبي، أ ، 2001: 190) ، ويفسّـر ذلـك بمحافظـة المدينـة علـى سكانها الأصليين رغم أنها مثلت قاعدة لتوطن الوافدين العرب بها خلال عصر الولاة، كما يدلّ تنوّع سكانها على قدرة الدولة على احتوائهم داخل المجتمع العربي الإسلامي. وقد تراجع دورها إبّان حكم الفاطميين لصالح

مدينة المسيلة لكنها استرجعت قوتها نسبيا زمن الدولة الحمادية (Lakhder,M,2015:280).

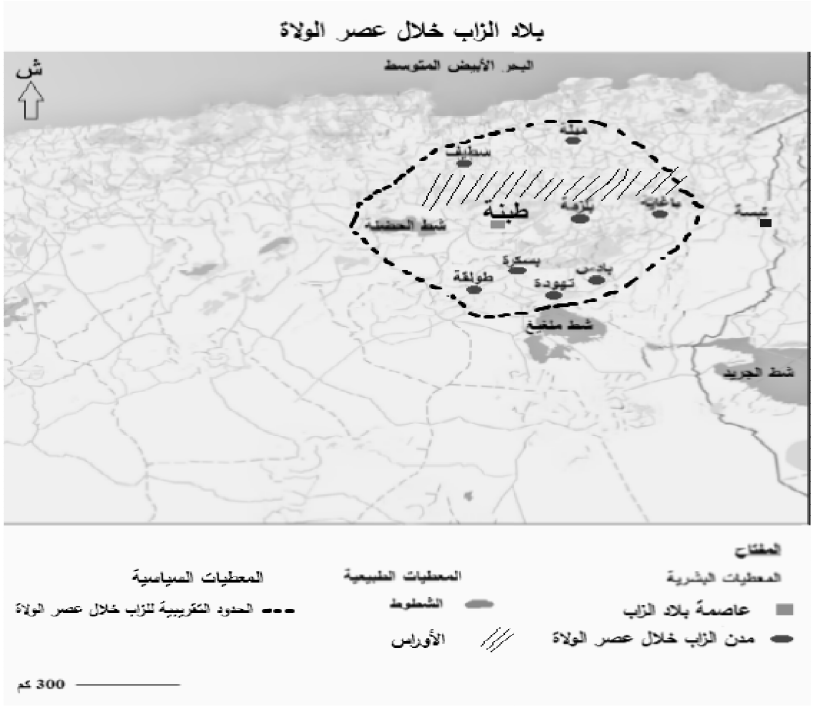

- المسيلة : تعدّ من أهم مدن الزاب أحدثها المهدي سنة 315هـ/927م وسماها المحمدية، وتقول الرّواية إنّه اختطها برمحه (ابن الأثير،ع، 1997: 421). ثمّ عهد إلى علي بن حمدون الأندلسي ببنائها سنة 315هـ/927م وعيّنه واليا عليها وأنزل معه عجيسة وجماعة من العبيد(إدريس،ع، 1985: 217) . وتبعد عن مدينة طبنة أربعة وعشرون فرسخا (المهلبي،ح، 2006: 51) أي ما يقدّر حاليا ب92 كلم. كما يذكر ابن حوقل الذي زارها بفترة قصيرة بعد بنائها بقوله إنّها:" مدينة استحدثها علىّ بن الأندلسيّ ....وعليها سور حصين من طوب ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض" (ابن حوقل،م، 1938: 85). أما البكري فيوضح أنها بنيت على آثار مدينة قديمة (البكري،ع، 1992: 733) ، ويبدو أنها بنيت على أنقاض مدينة زابي (zabi) التي كانت تقع في إقليم الحضنة والتي أقام حولها الرومان

الكثير من الأبراج ومراكز الحراسة في إطار خط الليماس الذي شرعوا في تشييده في بداية القرن الثاني الميلادي.

وقد اتفق جلّ المؤرخين على تسميتها بالمحمدية على غرار ابن خلكان (ت.681ه/1283م) الذي يورد في إطار ذكره لسيرة ابن هانئ الأندلسي:" وكان بالمسيلة وهي مدينة الزّاب" (ابن خلكان،ع، 1994: 421) وهو الأمر الذي يؤكّده أيضا ابن الأبّار بقوله "أنها كانت ضمن مجال الزاب الأكبر" (ابن الأبار،م، 1985: 305). وقد عوّضت مدينة طبنة عاصمة الزاب سابقا، وذلك أنه بعد أن أخضع الفاطميون إفريقية قرّروا تأسيس عاصمة جديدة لبلاد الزّاب تكون خلفا لمدينة طبنة، وقد كان إنشاء مدينة المسيلة بغرب الزاب استجابة لظرفية تاريخية تعدّدت أسبابها منها العسكرية تمثلت في محاولة لمواجهة الزناتيين والحدّ من توسّعهم بالجهة الشرقية لبلاد المغرب، وكذلك لأسباب اقتصادية وهو تأمين المسلك التجاري الذي يبدأ من سجلماسة إلى القيروان، لأن المسلك الشمالي كان مهددا من قبل الدولة الأموية بالأندلس التي كانت تدعم الزناتيين في مواجهة الفاطميين وكذلك فقدانهم للمسلك الصحراوي الجنوبي الذي سادته الاضطرابات الزناتية.

ويضيف البكري (ت.487هـ/1094م) أنها حصّنت بسورين يجري بينهما جدول ماء يسقي المدينة وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في المدينة واشتهرت بأسواقها العامرة وعرفت بإنتاج القطن واللحوم (البكري،ع، 1992: 722).

كما تعرضت كتب المسالك والممالك إلى أهمية موقع هذه المدينة بالنسبة لبلاد الزاب ولبلاد المغرب ككلّ، فهي تشرف على بلاد الزاب وجهة الحضنة و كان الغرض من تأسيسها هو ضمان استقرار الجهة الغربية لافريقية لا سيما وأنها ستصبح قاعدة عسكرية خلال العصر الفاطمي في مواجهة الزناتيين (Cambuzat,P,1986,192)، كما أن موقعها وسط أرض قبائل بني برزال وبني كملان على قرب من هوارة (ابن عذاري،ع، 1983: 190) الهدف منه محاولة احتواء القبائل داخل الدولة الفاطمية.أما بالنسبة للامتداد الجغرافي للزاب خلال تلك الفترة فلم تمدّنا المصادر بمعلومات دقيقة حول مجاله وهو ما يفترض حفاظها على أهم مدنها وقراها بل توسعه نحو الغرب والجهة الشمالية وضمه لمزيد من القرى.

وقد استعملت عديد المصطلحات للتعبير عن التقسيم الإداري الثابث وهي "الكورة" و"العمل"، بالاضافة إلى وجود بعض المصطلحات الجغرافية الأخرى مثل "البلد" و"الأطراف". وكان يطلق على الزاب اسم البلد وهو ما يعني شساعة المجال الذي يضمّه، وقد عيّن على رأس الزاب عاملا يمثل شخص الخليفة ويمارس باسمه السلطة المطلقة في إطار القاعدة التي اتبعها الفاطميون في إدارة الأعمال وهي "الاستكفاء" مثل بني حمدون في الزاب. كما منح الخليفة الفاطمي وجوه رجال كتامة أعمال إفريقية واستعملهم في دولته ، وجعل لكل عسكر من كتامة ناحية منها كجزاء لهم على نصرة دعوته ، وسيكون الزاب أحد النواحي التي حظيت بها كتامة بحكم موطنهم.

ويذكر ابن حوقل أنها تربط مدن الزاب في ما بينها مثل مقرة وأشير خلال العهد الحمادي، وتكمن أهميتها أيضا أنها تمثل محطة بارزة في الطريق الرابط بين فاس والقيروان (ابن حوقل،م، 1938: 88). وبالتالي بروز مكانتها الإستراتيجية على المستوى العسكري والتجاري وهو ما يعني فاعليتها الاقتصادية.

بلاد الزاب خلال العصر الفاطمي

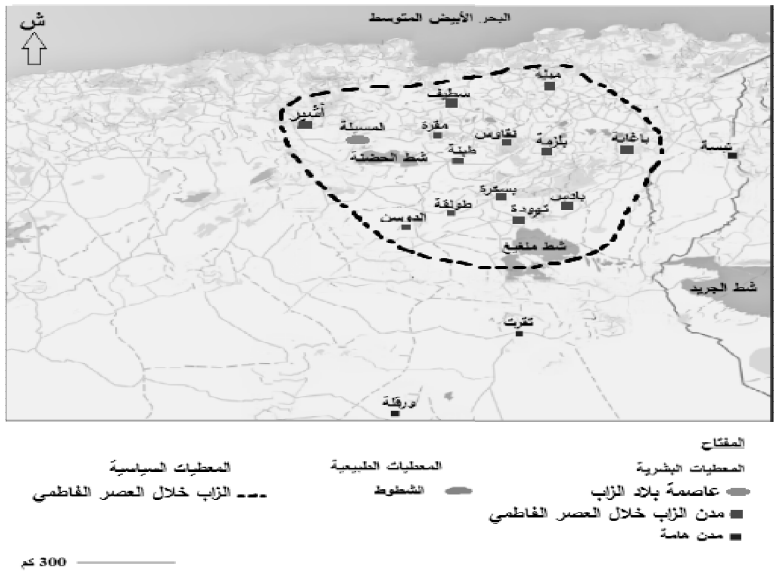

- نقاوس: كانت تسمى قبل الفتح الإسلامي (N'gaous) وهي تقع في سفوح جبال الأوراس وتحديدا شرق المسيلة وتبعد عنها 184 كلم، وكذلك شمال شرق مدينة مقرة وتبعد عن بسكرة مرحلتين (الادريسي، م، 1990: 264) أي حوالي حوالي 87 كلم، وهي تقع على الطريق الرابط بين طبنة وبلزمة وتتميّز بانبساط تضاريسها. يصفها ابن حوقل بأنها " مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزليّة ولها مياه كثيرة وأجنّة عظيمة" (ابن حوقل، م، 1938: 93). وقد كانت ضمن مدن المناطق الإدارية في عهد الولاة التابعة للزاب(جعيط، ه، 2004: 17). أما تركيبتها السكانية فينزلها الجند وحولها البربر من مكناسة بطن من زناتة (اليعقوبي، أ، 2001: 190)،وقد تواصل اشعاعها إلى غاية العصر الحمادي(Lakhder,M,2015: 277).

- مقرة: كان اسمها قبل الفتح الإسلامي (Macri) وهي تقع جنوب نقاوس وهي إحدى مدن الزاب الصغيرة بل يعتبرها البعض أنها قرية من قرى بلاد الزاب (المقري، ش، 1968: 280). تتركز بمنطقة خصبة إلى جانب وفرة كميات هامة من الماء للسقي جعلت البيزنطيين يهتمون بتأمينها فأنشئوا بها العديد من التحصينات الصغيرة وهو ما جعل اليعقوبي يصفها ذات " حصون كثيرة والمدينة العظمى"(اليعقوبي، أ، 2001: 191) وهو ما يشير إلى أهمية وظيفتها الاقتصادية والسياسية.

وقد استمرت مقرة خلال الفترة الإسلامية في الحفاظ على مكانتها فهي لا تقلّ أهميّة عن باقي مدن الزّاب خاصة في زراعة الحبوب وغراسة النخيل، والمتمعّن في مؤلفات الجغرافيين القدامى يلاحظ أن اسم مدينة "مقرة " قد اقترن أساسا بذكر مدن طبنة وبسكرة والمسيلة (ابن حوقل، م، 1938: 85) ، وهو ما يعكس حيوية هذه المدينة بمنطقة الزاب، إذ إنّها توجد بمحاذاة جبل الحضنة على الطريق المؤدية من طبنة إلى المسيلة والذي يؤدي بدوره إلى قلعة بني حماد. وقد كانت مدينة مقرة تتبع المنطقة الادارية بالزاب (جعيط، ه، 2004: 117).

وقد امتازت بتنوع تركيبتها السكانية فيذكر اليعقوبي أنها تحوي قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر يقال لهم بنو زنداح (اليعقوبي، أ، 2001: 191). ويفسّر هذا التنوع العرقي بأنّه رغم تبعية

المدينة للسلطة العربية وتوطّن عناصرها بها إلاّ أن ذلك لم ينف بقاء العنصر البيزنطي الّذي بقي مستقرا بها بالإضافة إلى توزع الوجود البربري حولها.

- طولقة التي تقع غرب بسكرة وتعدّ ضمن مجال الزّاب، ويذكرها البكري بأنها ثلاث مدن كلّها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار، وامتازت بكثرة البساتين والواحات (البكري،ع، 1992: 740).

- الدوسن وهي إلى الجنوب من مدينة طولقة، وقد تواصل إشعاعها إلى أواخر الفترة الوسيطة، فيعدّها الوزان الفاسي من المدن الكبرى لإقليم الزّاب (الفاسي،و، 1983: 140) ، أما ابن خلدون فيعتبرها من قرى بسكرة خلال الفترة الوسيطة المتأخّرة.

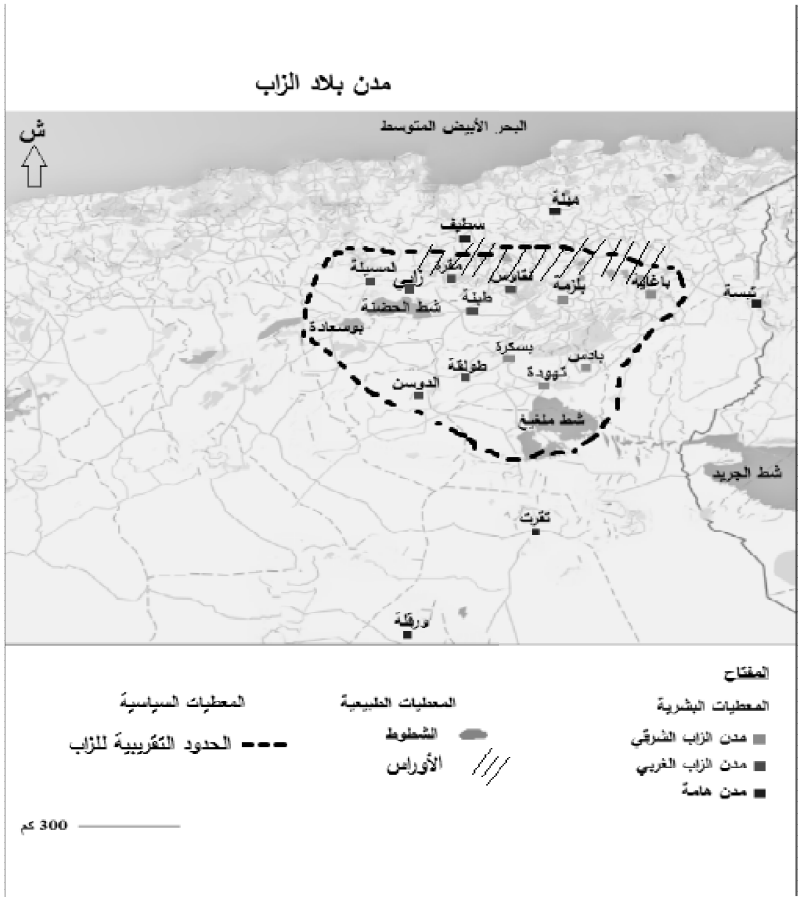

3 - منطقة الزّاب الشرقي :

تشتمل منطقة الزّاب الشرقي على مدن بسكرة، تهودة، بادس وتتومة. وتعدّ بسكرة عند المؤرخين مركز الواحات وبوابة الصحراء :(Cote,M,1991 1517) ، وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من الجزائر حاليا وتحديدا عند التقاء الصحراء بجبال الأطلس الصحراوي وكتلة الأوراس، وتشغل مكان مدينة رومانية عرفت بـ: فسكرة Vescera كانت أحد المراكز الحربية المخصصة لحماية إقليم الزّاب، ثم خرّبت وأعيد بناؤها لاحقا عند دخول الجيوش الإسلامية إلى بلاد المغرب، وهي أهمّ واحة من واحات منطقة الزيبان. تسمّى بسكرة ببوّابة الصحراء وتعدّ من أعظم الواحات ببلاد الزاب (Cote,M,1991: 395). وتوجد هذه المدينة على الطريق الرابط بين القيروان وطبنة خلال العهد الأغلبي(Lakhder,M,2015: 274) ، كما عدّها البكري قاعدة لمدن محيطة بها، ووصفها "بالمدينة الكبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسوّرة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمّامات، وحولها بساتين كثيرة" (البكري،ع، 1992: 713).

وقد حافظت على مكانتها إلى أواخر الفترة الوسيطة خلال العهد الحفصي وعدّت قاعدة أمصار الجريد، وتعرف ببسكرة النخيل. فيصفها الوزان الفاسي بأنها مدينة عريقة في القدم (الفاسي،و، 1983: 138) ، كما يجعلها صاحب الرّوض المعطار قاعدة بلاد الزّاب(الحميري،م، 1980: 113) ، وقد كانت تحيط ببسكرة جملة من المدن منها:

- تهودة وهي مدينة صغيرة تقع جنوب شرق مدينة بسكرة بحوالي 16 كم. وتستمدّ شهرتها أكثر من خلال ما ذكرته المصادر العربية بأنها المدينة التي مات فيها عقبة بن نافع الفهري(ابن الأبار،م، 1985: 327). وقد وصفها البكري:" مدينة أوّلية بنيانها بالحجر ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه..وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ونهر ينصبّ في جوفيّها من جبل أوراس، سكّانها العرب وقوم من قريش" (البكري،ع، 1992: 741) وهو ما يعني توطّن العنصر العربي بمدن الزاب رغم بعدهم الجغرافي عن عاصمة إفريقية.

وقد عرفت ازدهارها الاقتصادي بفضل توسّطها للطريق الرابط بين طبنة والقيروان خلال العصر الأغلبي. وقد تواصل إشعاعها إلى بداية العهد الحمادي حيث تراجع دورها لصالح مدينة بادس(Lakhder,M,2015: 278).

- بادس التي تعدّ أحد أهم مدن الزاب الشرقي منذ الفترة القديمة(Trousset,P,1991: 1299) وهي آخر بلاد الزاب. وكانت من المدن الإستراتيجية من خلال تموقعها على خط اللّيماس وذكرت بإسم Badias وأيضا Badis وقد عدّت من المدن العسكرية التي يقوم دورها على مراقبة السهول بالجنوب وهو ما يعني امتداد النفوذ البيزنطي جنوب الأوراس. وقد كانت مدينة بادس تتبع اداريا إلى نفوذ طبنة خلال فترة الولاة والفترة الأغلبية ثم لتتحول تبعيتها إلى المسيلة منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي لكن بعد انتقال الفاطميين إلى المشرق أصبحت تتبع مدينة بسكرة، وقد تواصل ازدهارها إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، فيصفها البكري بأن لها" حصنان فيهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرّتين في العام على مياه سائحة كثيرة" (البكري،ع، 1992: 743) ، وهي تبعد عن الأوراس ثلاث مراحل (الادريسي،م، 1990: 264). وتكمن أهميتها الاقتصادية أنها مثلت محطة تجارية وفي هذا الصدد يذكر المراكشي: "ومنها... تفترق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس"(مجهول، 1986: 175) ، هذا بالإضافة إلى ازدهار المجال الزراعي بها وهو ما يعني ازدهارها الاقتصادي خلال الفترة الوسيطة(Cambuzat,P,1986,28). وكان يسكنها أثناء الفتوحات الإسلامية النصارى والبربر (الحميري،م، 1980: 142) ، وهو ما يحيل إلى بقايا الوجود البيزنطي وسط القبائل البربرية.

- باغاية : تسمى في المصادر القديمة (BAGHAYA) وهي تعدّ أحد الحصون البيزنطية ويبدو أنها حافظت على اسمها في المصادر العربية وتسمى "باغاي" وهو بلد يقع على السفح الجنوبي لجبل الأوراس (الشماخي،أ، 2009: 833) ، واكتست أهمية تاريخية ببلاد الزاب بفضل موقعها الإستراتيجي فهي تقع على الطريق الرابط بين تبسّة والزاب والمارّ بجبال الأوراس شرقا مما يجعلها أحد المنافذ الإستراتيجية التي تراقب الطريق الصحراوي. وقد لعبت دورا دفاعيا خلال الفترة البيزنطية (Trousset,P,1991: 1307) خاصة وأنها تقع ضمن المدن الدفاعية المحيطة

بـالأوراس وحصّـنت أكثـر خـلال فـترة حكـم Justinien وقـد تواصـلت تحصيناتها إلى نهاية العهد البيزنطي وتظهر منعة هذه المدينة من خلال صعوبة اختراقها في مرحلة الفتح الإسلامي (ابن الأثير، ع، 1997: 205). ثمّ اعتمدت عليها الكاهنة للوقوف ضد تقدم حسّان بن النعمان (ابن عذاري، ع، 1983: 13) ، وكان لها أيضا دور بارز في سير الأحداث خلال العهد الأغلبي والفاطمي(Trousset,P,1991: 1307).

كما حظيت بلاد الزاب بجملة من الحصون مثل حصن بلزمة ويسمى أيضا بقصر بلزمة ويقع على الطريق الرابطة بين القيروان والزاب وتحديدا بين باغاية وطبنة (Cambuzat,P,1986,59)، كما أنه يربط بين نقاوس والأوراس (Cote,M,1991: 1415) وهو في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى (البكري، ع، 1992: 711). ويعدّ من الحصون الدفاعية التي عوّل عليها البيزنطيون لتوطيد حكمهم بالمنطقة، ثمّ اعتمده الأغالبة كثغرا عسكريا في مواجهة الاضطرابات ببلاد الزاب وركّزوا به عرب بني تميم في محاولة منهم لمواجهة هجومات البربر. وتظهر أهميته خاصة في فترات القلاقل(حسن، م، 2004: 31) ويضطلع بمهمة الدفاع عن المجال المحيط به وأحيانا يكتسي وظيفة حمائية لكامل المنطقة أمام هجومات القبائل المناوئة للسلطة وتواصلت أهميته إلى الفترة الزيرية.

وقد كان يتبع إداريا سلطة طبنة ثم المسيلة ولاحقا قلعة بني حماد. أما أهميته الاقتصادية فتستمد بفضل موارده المائية مما جعله منطقة زراعية إلى جانب ازدهار أسواقه(Cambuzat,P,1986,67).

وقد مثلت هذه المدن بمنطقة الزاب محطات هامة في أحداث الأيام والدول. كما تميزت منطقة الزاب ومحيطها بتنوع تضاريسها، التي كان لها الدور المحوري في تاريخ بلاد الزّاب، خاصة ما يميّز هذه المنطقة من امتداد سلاسل جبال الأوراس والتي غالبا ما تحدد مجال سلطان الدولة المركزية وامتدادها باتجاه الجنوب من السلسلة الجبلية.

تعدّ الأوراس منطقة جبلية شاهقة تقع في شمالي المغرب الأوسط الشرقي(Ballais,J,1989: 1066) ، وتبعد عن بجاية 60 ميلا و80 ميلا من قسنطينة وهو غير متصل بالجبال الأخرى بالرغم من كونه جزءا من الأطلس الكبير وتنبجس منه عدّة عيون وأودية مثل واد الزّاب وتسكنه عدة قبائل بربرية(الحموي، ي، 1990: 278) وتكمن أهمية موقع الأوراس

من خلال إشرافه على طرق حيوية كطريق تونس وطريق واحات الصحراء وقسنطينة في الشمال الغربي، ثم الطريق الموصلة إلى شمال إفريقية ويتألف الأوراس من ثلاث سلاسل جبلية متوازية، بينها أودية طولية عميقة، وذات جروف كثيرة وشاهقة تصل إلى 200م. هذا وتتركز أعلى القمم في الشمال، وفيه جبل الشلية (2328م) أعلى جبال المغرب الأوسط المتوسطية، و إلى الغرب منه جبل كف محمل (2322م). لكن القمم تنخفض في الجنوب فأعلاها جبل أحمر خدو، أو الخد الأحمر (2160م)وكان لهذا الارتفاع دور في المقاومة البربرية، إذ كان الأوراس محطة هامة في صمود الكاهنة أمام التوسع الإسلامي فقد كان يوفر لها قلعة حصينة في حربها ضد المسلمين (ابن عذاري، ع، 1983: 35). كما عدّ الأوراس أيضا ضمن ولاية الزاب منذ العهد الأغلبي ومثّل منطقة حصينة لبربر هوارة التي تمثل الهياكل الاجتماعية العصيّة على الخضوع لسلطة الدولة منذ العصور القديمة (الطالبي، م، 2005: 294).

كما نجد ببلاد الزّاب بعض الجبال الأخرى الأقل أهمية مثل جبال الزيبان وهي قليلة الارتفاع تقع وسط الأطلس الصحراوي وكذلك جبال أولاد نائل وتدعى جبال الصحراء وأقصى ارتفاعها 1530م(المدني، أ، 1952: 43).

أمّا في ما يتعلق بالسباخ والشطوط فنجد أن أهمها الحضنة (Camps,G,2000:3479) وتقع في منخفض طبيعي جنوب المسيلة، وتمتدّ على مساحة 8600 كم2 وتطلّ على الجهة الجنوبية لبلاد الزاب، ويتميّز مناخها بالحرارة والجفاف غير أن هذا المناخ لم يحرم سهول الحضنة من مصادر المياه فهي تتوفر على مخزون هام من المياه الجوفية بفضل تلقيها منسوبا هاما من المياه المنحدرة أغلبها من السفوح الجبلية، وهذا ما أعطى إقليم الحضنة حيوية زراعية منذ العهد الروماني(سليماني،س، 2005: 42). وأصبحت ضمن الطريق الذي أنجزه الإمبراطور Hadrien (117- 138م) التي تمتدّ من وادي الشلف إلى غاية الحضنة(سليماني،س، 2005: 44). وقد تواصلت أهميتها خلال الفترة الإسلامية بفضل الطريق التجارية الرابطة بين افريقية وسجلماسة (Meouak,M,2009: 4)، هذا بالإضافة إلى شط ملغيغ الذي يقع جنوب بسكرة وغرب وادي سوف ب95 كلم ويبعد عم ورقلة ب160 كلم، تدفق فيه مياه وادي التل ونهر الصحراء الكبير لوادي

الجدي الذي منبعه في جبال عمور، وتمتاز هذه الشطوط أو السباخ بقلة عمقها وأغلبها يجف تماما زمن الصيف وتؤلف طبقة من الملح المتجمد وهو الأمر الذي يفسر إنتاج الزاب لمادة الملح.

كما امتازت المائدة المائية في منطقة الزّاب بتنوع مصادرها، فتعددت بها الأودية مثل الوادي الكبير الذي ينبع من الأطلس الكبير في جهة إقليم الزّاب والذي يصب في البحر المتوسط، واد سوف غمار وهو نهر كبير أخر ينبع من نواحي جبل أوراس بإقليم بجاية، وادي العرب، وادي الأبيض، وادي عبدي، وادي القنطرة، وادي بسكرة، وأغلب هذه الأودية تصب في شط ملغيغ. ثم نجد بعد ذلك أودية أخرى تخترق الصحراء وأهمها : وادي أريغ وهو ينحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ فتتكون حوله واحات تقرت وتماسين، وادي ايغارغار الذي هو أصل وادي أريغ ويأتي بالماء من هضبة الهقار، وادي جدي الذي ينبع جنوب مدينة افلو من جبال عمور ويسير نحو الزيبان ويحمل هذا الوادي في أول أمره اسم وادي مزي.

ومن هذا المنطلق وبفضل الطبيعة الصحراوية لمنطقة الزّاب في الجنوب وكذلك بفضل الأودية التي تشق إقليم الصحراء ظهرت عدة واحات كان لها أثر بالغ في تنمية الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة ولعلّ أهم هذه الواحات نذكر : واحة بوسعادة وهي أولى الواحات في ناحية الشمال تقع بين شط الحضنة وجبال أولاد نايل، واحات الزيبان و التي تتكون من بسكرة سيدي عقبة طولقة ليشانة وأولاد جلال، واحات وادي أريغ جنوب الزيبان ومن أهمها تقرت، واحة ورقلة أو وراجلان وهي أخر الواحات بجنوب الزّاب.

ويبدو أن هذا المجال الشاسع للزاب قد جعله محلّ إهتمام لحكام افريقية، إذ سعى كل كيان سياسي إلى بسط نفوذه على هذه المنطقة لموقعها وسط بلاد المغرب وكذلك لما يحتله من مكانة استراتيجية بالنسبة للطرق التجارية نحو بلاد السودان فهو يعدّ الواجهة الصحراوية لبلاد المغرب.

ضمت بلاد الزاب جملة من المدن الممتدة من منطقة الحضنة غربا إلى باغاية شرقا وتحدّها من الشمال سلسلة الأوراس، وقد استفادت بلاد الزاب من طبيعتها الجغرافية من خلال سهولها الممتدّة جنوب الأوراس والتي تعرف بمنطقة الواحات إلى جانب تنوع مواردها الفلاحية وخاصة الحبوب التي تمير منه إفريقية. وقد شهدت مدنها وقائع تؤرخ حقبة الفتوحات

الإسلامية مثل باغاية وتهودة وطبنة مدينة الزاب العظمى كما ساهم موقعها الجغرافي الذي يحتل وسط بلاد المغرب في أن تصبح منطقة عبور للمسالك التجارية، الأمر الذي ساهم في ازدهار مدنها من الناحية الاقتصادية وتعدّت تأثيراتها إلى الجانب الاجتماعي والعمراني.

مصادر ومراجع البحث:

باللغة العربية:

- ابن الأبار محمد بن عبد الله، 1985، الحلة السيراء، ط2، القاهرة، دار المعارف.
- إدريس عماد الدين القرشي، 1985، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ط1، بيروت، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي.
- الادريسي محمد، 1990، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، بيروت، عالم الكتب.
- الأندلسي على بن موسى، 1995، المغرب في حلى المغرب، ط3، القاهرة، دار المعارف.
- البكري عبدالله، 1992، المسالك والممالك، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
- البوزادي بسمة، 2005، مدينة طبنة من الفتح إلى نهاية القرن الثالث ه/IXم : دراسة في الجغرافية التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة تحت إشراف محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.
- التجاني أبو محمد عبد الله، 2005، رحلة التجاني، تونس، الدار العربية للكتاب.
- جعيط هشام، 2004، تأسيس الغرب الاسلامي _القرن الأول والثاني ه/السابع والثامن م، ط1، بيروت، دار الطليعة.
- حسن محمد، 2004، الجغرافية التاريخية لإفريقية من من القرن الأول إلى القرن التاسع: فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط1، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- الحموي شهاب الدين ياقوت، 1990، معجم البلدان، ط1، بيروت، دار الكتب العلّمية.
- الحميري أبوعبد الله محمد، 1980، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة.
- ابن حوقل محمد، 1938، صورة الأرض، بيروت، دار صادر أفست ليدن.
- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله، 1889، المسالك والممالك، ط1، بيروت، دار صادر أفست ليدن.
- ابن خلدون عبد الرحمن، 1988، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر.
- ابن خلكان أبو العباس، 1994، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1، بيروت، دار صادر .

- السلفي أبو الطاهر،د.ت.، معجم السفر، ط1، مكة المكرمة، المكتبة التجارية - مكة المكرمة .
- سليماني (سعاد)، 2005، "مواقع جديدة بمنطقة الحضنة- نماذج بضواحي زابي"، Géographique historique du Maghreb antique et médiéval, Etat des lieux et perspectives de recherches, Actes du premier colloque internationale du laboratoire de recherche « Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval » Edités par Abdelletif MRABET,Sousse, Faculté des lettres et des siences humaines, P45-55.
- الشماخي أبو العباس أحمد، 2009، كتاب السير، دراسة وتحقيق الدكتور محمد حسن،ط1، بيروت، دار المدار الإسلامي.
- الطالبي محمد، 1995، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي184- 296هـ_800-909م، تعريب المنجي الصيادي ومراجعة وتدقيق حمادي الساحلي،ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن عذاري عبد الله بن محمد المراكشي، 1983، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال،ط3،بيروت، دار الثقافة.
- عمارة علاوة.2004، "الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، 22.
- الفاسي الحسن بن محمد، 1983، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- المراكشي عبد الواحد، 2006، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ط1، بيروت، المكتبة العصرية.
- المهلّبي الحسن بن أحمد، 2006، المسالك والممالك، دمشق، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع.
- المقدسي أبوعبد الله محمد، 1991، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- المقري شهاب الدين، 1968، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بيروت، دار صادر.
- مجهول، 1986، الاستبصار فى عجائب الأمصار، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
- المدني أحمد توفيق، 1952، جغرافية القطر الجزائري،ط2، الجزائر، المطبعة العربية.
- اليعقوبي أحمد بن إسحاق، 2001، البلدان،بيروت، دار الكتب العلّمية.

- باللغة الفرنسية:

- Amara Alloua,2012, « Entre le massif de l'Aures et les oasis: apparition, évolution et disparition des communautés ibadites du Zab (VIIIe –XIVe siècle) », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 132, p. 115-135.
- Ballais J.-L,1989, « Aurès », Encyclopédie berbère, T. VII, p. 1066-1095.
- Camps G,2000, « Hodna », E.b.,T. XXIII, p. 3479-3485.

- Cambuzat Paul-Louis,1986, L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VIIe au XIe siècle, Alger : Offices des Publications Universitaires.
- Camps G.,1985, « Afāriq », E.b.,T. II, p. 194-195.
- Cote M.,1991, « Biskra », E.b.,T. X , p. 1517-152 .
- Cote M.,1991, « ZàB »,E.I, T. VI, p395-397.
- Cote M. ,2005, « ZàB », Encyclopédie de l islam. Nouvelle édition établie avec les concours de principaux orientalistes. Leiden.Brill.T .VI, p395-397
- Cote M.,1991, « Biskra », Encyclopédie berbère , T. X, Aix-en-Provence, Edisud, p. 1517-1522.
- Cote M.,1991, « Belezma », E.b. T. IX , p. 1415-1417.
- Hassen Mohamed,2015,«Géographie des frontières politiques en Ifrîqiya entre le VIIème et le IXème siècles » Géographique historique du Maghreb antique et médiéval, Etat des lieux et perspectives de recherches, Actes du premier colloque international du laboratoire de recherche « Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval » Edités par Abdelletif MRABET,SOUSSE, Faculté des lettres et des sciences humaines, p. 255-266.
- Lakhdar oulmi Mohamed,2015, « Villes disparues de l'Aurès (VIII-XII siècles) », Géographique historique du Maghreb antique et médiéval, Etat des lieux et perspectives de recherches, Actes du premier colloque international du laboratoire de recherche « Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval » Edités par Abdelletif MRABET, SOUSSEFaculté des lettres et des siences humaines, p. 267-287 .
- LEWICKI Tadeusz, 1976/1983,"Etudes maghrébines et soudanaises", Varsovie, Editions Scientifiques de Pologne, p. 22.
- Meouak M.,2009, « Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques : organisation des terroirs, communautés rurales et productions agricoles au Moyen Âge », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée ,126 .
- Trousset P.,1991, « Bagaï », E.b.,T. IX, p. 1307-1312.
- Trousset P.,1991 , « Bagaï », E.b.,T. IX , p. 1307-1312.